مقدمة

الحمد لله رب العالمين ، المنفرد بالكمال وحده ، والمنزه عن كل نقص أو عيب ، هو الأول والآخر والظاهر والباطن ، يخلق ما يشاء ، يرفع قومًا ويخفض آخرين ، ويعز قومًا ويذل آخرين ، ولا يُسأل عما يفعل ، فله الحكمة البالغة والقدرة البارعة ، وصلِّ اللهم على سيدنا محمد النبى الأمين صاحب الخلق الرفيع . وبعد ...

فلقد اقتضت سنة الله فى خلقه أن يتفاوت الخلق جميعهم ، وألا يكون الناس على درجة واحدة ، وهذه سنة الله ﴿ **وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلاً** ﴾ [**الفتح** : ٢٣] .

فالناس متفاوتون فى الرزق ليعلم الغنى بعضاً من فضل الله عليه ، ويساعد الفقير فالله سبحانه وتعالى ﴿ **يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ** ﴾ [**العنكبوت** : ٦٢] .

والناس أيضاً متفاوتون فى الصحة والعلم ، فمنهم من: ﴿ **زَادَهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ** ﴾ [**البقرة** : ٢٤٧] ومن الناس من كان حظه فى ذلك متواضعاً .

والناس كذلك متفاوتون فى درجة ذكائهم : ﴿ **وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِّيَتَّخِذَ بَعْضُهُم بَعْضًا سُخْرِيًّا وَرَحْمَتُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ** ﴾ [**الزخرف** : ٣٢] . والله عز وجل قد فاوت بين خلقه فيما أعطاهم من الأموال، والأرزاق ، والعقول ، والفهوم ، وغير ذلك من القوى الظاهرة والباطنة فقال تعالى : ﴿ **نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُم مَّعِيشَتَهُمْ فِي**

الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ [الزخرف : ٣٢] . وهذا يعنى أن الله – سبحانه وتعالى – قد جعل من الناس الغنى والفقير ، القوى والضعيف ، الذكى والأقل ذكاء ، العالم والجاهل .

وقد شاءت إرادة الله ألا يكون هناك حد فاصل وقاطع بين هذه الدرجات المتفاوتة من الخلق ، بل جعلهم متدرجين بين النقص والكمال وجعل غالبيتهم وسطًا بين هذا وذاك ، والقليل أقرب إلى الكمال وكذلك القليل منهم أقرب إلى النقصان حتى يستقيم بناء المجتمع – ولله الحكمة البالغة .

ولقد ألقينا الضوء – بفضل من الله تعالى – فى الكتاب الذى بين أيدينا على هذه المشكلة (مشكلة التخلف الذهنى) التى طالما حار فى حلها علماء من الطب والتربية وعلم الاجتماع وصالت وجالت فيها كثير من الأقلام والدراسات منذ قديم الزمان ، فالمشكلة ليست بسيطة أو محددة بل متفرعة ومتشعبة .

وللضعف العقلى أنواع كثيرة وطبقات متباينة ، أغلبها فطرى موروث تنتقل عبر الأجيال خلال الكرموسومات والجينات الوراثية ، والقليل منها ناجم عن أسباب مرضية أو اجتماعية ، فمنهم من يستطيع أن يكتسب من التعليم والتدريب الشىء اليسير ، ومنهم من لا يستطيع حتى حماية نفسه من الأخطار المحيطة به ، وكذلك تتباين شخصياتهم وتختلف تصرفاتهم فمنهم الهادئ المطيع ، ومنهم المدمر المشاكس ، وقد ثبت من إحصائيات المحاكم أن كثيراً من جرائم السرقة والقتل والاغتصاب يقترفها ضعاف العقول ، كما أن ضعاف العقول فى المدرسة يسببون اضطرابات فى نظام التدريس نظراً لعدم قدرتهم على مسايرة التلاميذ العاديين فى الدراسة.

من أجل هذا وذاك كان لزاما على المجتمع أن يتعرف على هذه الفئة من البشر مبكراً كلما أمكن ذلك بدءاً من بعد الولادة حتى المراحل الأولى . والعالم الآن يضع هذه المشكلة نصب عينيه لأن رقى الأمم ونهضتها مرتبط بصحة أبنائها وحالة نموهم العقلى ، ولقد تقدم علم النفس الطبى والاجتماعى فى هذا المجال تقدماً ملحوظا ، فأصبحت طرق التشخيص ميسورة وكذلك أساليب العلاج الطبى والنفسى ، حتى أن مدارس كاملة أُنشئت خصيصاً من أجل هذا الغرض .

وإذا كان «المتخلف عقلياً» قد حُرم من نعمة العقل ، إلا أنه إنسان له الحق فى الحياة الكريمة . وقد أوجب الله سبحانه وتعالى رعايته وكفالته وحمايته على الأذكياء والأغنياء والأصحاء ، وجعل ذلك حقّا مفروضا ، حيث فرض الله – عز وجل – زكاة وصدقات تنفق على الضعفاء والمحتاجين ، ولا شك أن التخلف الذهنى نوع من الضعف والحاجة ، ويقول الله سبحانه وتعالى : ﴿ **خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا** ﴾ [**التوبة** : ١٠٣]، وهذه الصدقة هى حق معلوم لهؤلاء الضعفاء فى مال الأغنياء والقادرين ، وهى تطهر الأموال والصحة ، ولابد أن يتعاون الناس ويتضافروا بغية مساندة هذه الشريحة من ضعفاء العقول ، وفى ذلك يقول الرسول ﷺ : «**والله فى عون العبد ماذام العبد فى عون أخيه**»[1] وكذلك أيضا فى قوله ﷺ : «**ابغونى ضعفاءكم فإنكم إنما تنصرون وترزقون بضعفائكم**»[2] .

ويقول الدكتور كمال إبراهيم مرسى فى كتابه «الطفل غير العادى» :

---

(١) الحديث بتمامه فى مسلم ، كتاب الذكر والدعاء برقم ٢٦٩٩ ، ومسند أحمد (٢ / ٢٥٢ ، ٢٩٦ ، ٥٠٠ ، ٥١٤) وابن ماجة فى المقدمة (١ / ٢٢٥)

(٢) رواه الإمام أحمد فى مسنده ٥ / ١٩٨ .

ونستشف من هذا أن الإسلام قد سبق الأمم المتحدة فى الإعلان عن حق المتخلف عقليًا فى الرعاية والتعليم والتأهيل والتشغيل مهما كثرت تكاليفها وقل عائدها المادى ، فرعاية المتخلف عقلياً من وجهة النظر الإسلامية فريضة على كل مسلم قادر ، وواجبة على الدولة وفيها بركة من الله سبحانه وتعالى ، وتعود بالخير على القادرين من المسلمين .

وإذا كان من عنده نقص عقلى لا يمكن علاجه بالمعنى الطبى إلا أنه من الممكن أن نشكل سلوكه ونكيف أخلاقه ، وندربه على أنواع خاصة من العمل يمكن أن ينجح فيها ، ونعدّ له منهجًا تربوياً خاصاً به يفى بحاجاته ويساعده فى معيشته ، ونستطيع أن نحصل على نتائج لا بأس بها فى حالة هؤلاء الذين يقربون من العاديين فى الذكاء .

وعلى الوالدين اللذين رزقهما الله بطفل ضعيف الذهن أن يحمدا الله على ما رزقهما وألا يتضجرا بل يصبرا حتى ينالا الثواب والأجر فى الآخرة ، فإن ذلك ابتلاء من الله ، ويجب أن يكون هذا الطفل سببا فى زيادة أواصر المحبة والرحمة والمودة بينهما ، فالله سبحانه وتعالى يسوق الرزق إليهما بسبب هذا المسكين الضعيف .

والله سبحانه وتعالى أسأل أن يجعل هذا العمل المتواضع خالصًا لوجه الكريم وأن ينفع به سائر العباد ، وأن يجعله لى ذخراً يوم الدين .

المؤلف